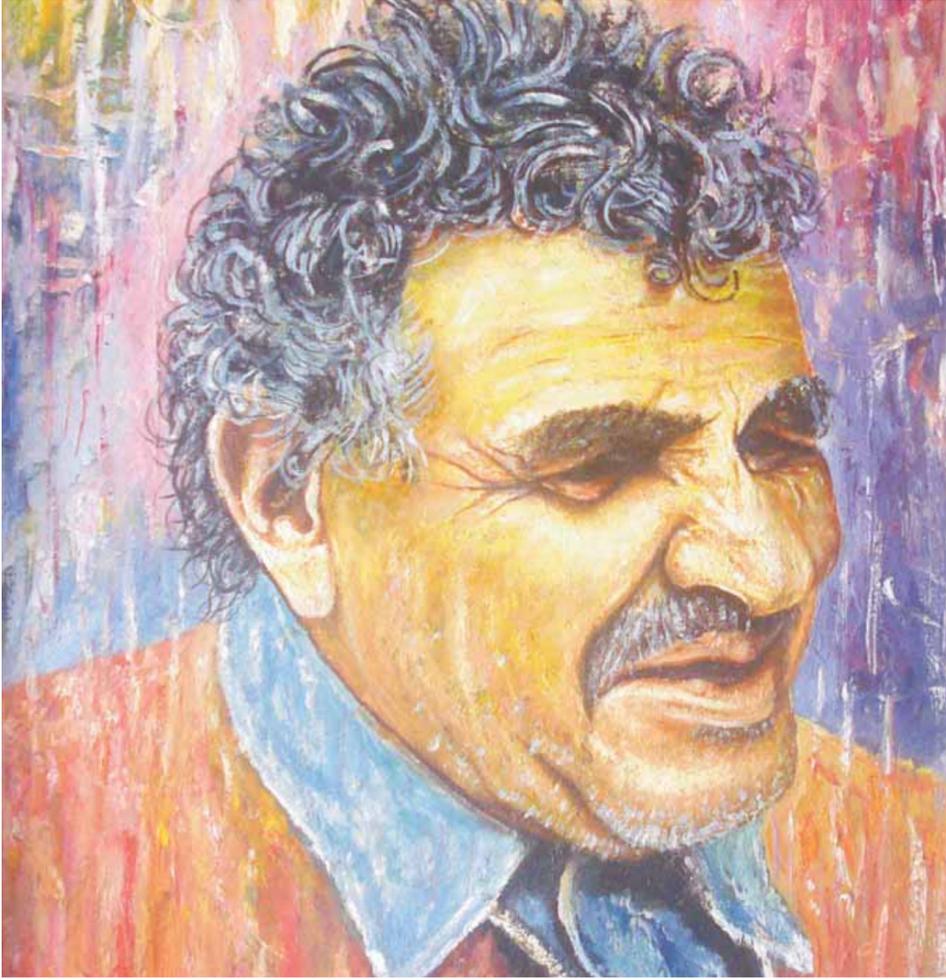


سؤال الهوية في شعر البردوني



يعد سؤال الهوية في هذه المرحلة سؤالاً عصياً ملحاً جاء بفعل السيطرة واستحواد الحضارة الحديثة التي تلتهم مقدرات الأمم وتحويلها من أمم فاعلة مؤثرة إلى أمم تابعة مستسلمة. ويأتي هذا السؤال بفعل الضعف والخوف الحضاري للأمم والشعوب العربية والإسلامية وغيرها. ويأتي خوفاً من موت الذاكرة الحضارية للأمم والتأثير الفاعل في غيرها خاصة وقد أمتك الأخر وسائل حديثة ومتطورة حاولت طمس الهوية العربية ومكرساً لهويته وحضارته فضلاً عن الاستغلال الاستعماري في الشعوب استغلالاً وتبعية وتكريساً للضعف الصراع مع الآخر ليس ظاهرة طارئة لكنها تمتد من مرحلة الضعف التي دبت في جسد الأمة بالتفكك والضعف للحضارة العربية الإسلامية واتضح أكثر منذ قال المتنبي في وصف حال الأمة من خلال حكمائها (أرانب لكتهم ملوك مفتحة عيونهم نيام) فهذه من الصرخات الأولى على ضعف الأمة وتراجعتها وتجلت الصورة أكثر من الوهلة الأولى لدخول الحملة الفرنسية مصر حيث حملت معها المرصد والمطابع لكنها داست المقدس بحوافر الخيل واتسعت الصورة إبان الاستعمار الأجنبي للوطن العربي والذي كان للأدب والفكر الدور الأكبر في الحفاظ على الهوية العربية والإسلامية ولكنه بلغ النضج حين أعلنت دولة إسرائيل عن أرض فلسطين فسجل (عمر أبو ريشة بقصيدته الرائعة التي مطلعها): (أمتي هل لي بين الأمم منبر للسيف أو للقم)

وكان الأمة في نسق عميق من استلاب الانتماء الذي تصنع به المستقبل يقول الدكتور تركي الحمد "إن المتأمل في الانتماء العربي يلحظ نتيجة كارثية حيث إن الشكل يناقض المضمون فالموجود شكل من الانتماء ومضمون من الاغتراب" فأطفت شهب الميراج أنجمناً وشمسنا وتحدث نارها الحطب وقالت دوننا الأبواق صامدة أما الرجال فما توأ ثم أو هربوا الحاكمون وواشطن حكومتهم واللامعون وما شعوا ولا غربوا يقول الدكتور عز العرب حكيم بناني "يستقبل زيد نفس السيارة من الطريق إلى العمل فلا تعني "عبارة" السيارة نفسها" نفس "المشار إليه" وهي الصنف أو الفئة من السيارات المستعملة في ذلك الطريق".

ومما سبق يمكن القول إن الهوية العربية في النص جاءت بصورة متحولة وزائفة فهي تتلقى ضربات في عدم امتلاك القرارات السيادية "قالت دوننا الأبواق" الحاكمون وواشطن حكومتهم وتضح ذهاب السيادة العربية على الأرض فصنف ما يلحق في الجو يطفي بزوغ الهوية وعودة الإشعاع الحضاري "ألفات شهب الميراج" إشارة للآخر القوي بالهوية الجديدة، تحدث نارها الخطيب "فلم يعد ثمة ثبات للهوية والانتماء فالحاكمون يمثلون صنف الحكام العرب الضعفاء والزائفون" الحاكمون وواشطن، وقالت دوننا الأبواق "ومن ذلك الأمثلة السابقة يمكن القول إن: "استمرارية الهوية الذاتية على الرغم من تغير المكونات المادية ويزيد تغير الهوية على الرغم من وجود الجسد المشترك ونستفيد أن الجسد في بعض الحالات ليس معياراً ضرورياً لبقاء الهوية وكافياً لاستمراريتها).

ومن ذلك فإن الهوية العربية تمتلك الجسد كعيار باق للمكونات والمادة والأنساق التاريخية المشتركة ولكنها هذه الهوية تنفك للروح والعقلانية المفكرة، للحاق بركب الحضارة والتلاحق الحضاري المؤثر.

وتسعون ألفاً "عمودية" أنقذوا وللمنجم قالوا: إننا الشهب واليوم تسعون مليوناً وما بلغوا نضجا وقد عصر الزيتون والعنب ولأن النص يرغب بـ "بمطابقة الذات لذاتها وذلك عندما تنفي الذات انتماء شيء آخر إلى الهوية الذاتية".

اليوم عادت علوج الروم فاتحة وموطن العرب السلوب والسلب يكفيك أن عدنا أهدراً وما دنا ونحن من دمننا نحسو ونحتلب وذلك من أجل "التعامل مع الواقع تعاملًا فاعلاً يحقق أهداف وغايات الهوية الجماعية على أرض الواقع وليست في الأحلام والأوهام لينتفي الخسوع القانع والمسالم"

ألا ترى يا أبا تمام بارئنا إن السماء تُرَجَى حين تحتجب" وهذه دعوة إلى قيم التكافؤ والتسامح والندبة المتألفة والعدالة ويعطي النص نوعاً من الرفض للتوقع والتخلف بالاعتراف لكل ما هو جديد يتشكل ذات وهوية متطورة بوصف "الاحتجاب أني وغير مستمر" وبداية للتجدد لأننا الوحيدة المتطورة.

ويمكن أن نخلص من هذه القراءة إلى نتائج عامة جاءت في طيات القراءة والتي منها ما يلي: اعتمد الخطاب في النص الشعري الإرث الفكري والحضاري خشية الغياب والأقول للهوية كمحفز لإدراك الذات.

كانت الاستعادة بمقصديه التجدد والاستمرارية متجانسة، تمثل اليمن كله بوصف الاحتجاب للهوية والأنا استمرارية المعاناة والضعف حتى يتأتى الإشراق والضوء والنورانية والكرامة وكان النص حواراً لسيرة الوطن مع المعاناة والصراعات والتشطي كما ذكرت سابقاً. والنا يا ابني؟ جواب لا حدود له اليوم أدجي لكي يخضر وجه غدي وهذه هي غاية الأدب والفن الحق والجمال والفكر بإعادة صياغة الحياة بهوية مستقرة ناهضة وكذلك بعد النص صورة عاكسة لغايات الكلمة كما يقول الدكتور عبد العزيز المقالح: "نفتح أمام الشاعر أبواب الالتزام نحو الجماعة بدلاً من الأفراد ونحو الأمة بدلاً من القبيلة ونحو الإنسان عموماً".

متجانسة، تمثل اليمن كله بوصف الاحتجاب للهوية والأنا استمرارية المعاناة والضعف حتى يتأتى الإشراق والضوء والنورانية والكرامة وكان النص حواراً لسيرة الوطن مع المعاناة والصراعات والتشطي كما ذكرت سابقاً. والنا يا ابني؟ جواب لا حدود له اليوم أدجي لكي يخضر وجه غدي وهذه هي غاية الأدب والفن الحق والجمال والفكر بإعادة صياغة الحياة بهوية مستقرة ناهضة وكذلك بعد النص صورة عاكسة لغايات الكلمة كما يقول الدكتور عبد العزيز المقالح: "نفتح أمام الشاعر أبواب الالتزام نحو الجماعة بدلاً من الأفراد ونحو الأمة بدلاً من القبيلة ونحو الإنسان عموماً".

لأن الهوية الحضارية لأي أمة من الأمم هي "القدر الثابت والجوهري والمشارك من السمات والقسيمات العامة التي تميز حضارة هذه الأمة عن غيرها من الحضارات والتي تجعل للشخصية القومية طابعاً تتميز به عن الشخصيات الأخرى".

فإن نص البردوني يناقش الاختلال والتحول الذي اعترى الثبات للهوية محاولاً استعادة ذلك الثبات والطابع المميز للهوية العربية في التقدم والانتشار كي ينتفض الضعف وينتشر النهوض ويخيو التخلف ففي نص أبي تمام وعروية اليوم يناقش التحول والثبات والتغير الذي بلغ حد الانبجاة حيث يقول النص:

ما أصدق السيف إن لم ينضه الكذب واكذب السيف إن لم يصدق الغضب بيض الصفائح أهدى حين تحملها أيد إذا غلبت يعمل بها الغلب من النص يلحظ المتلقي صراع المعاناة الوجدانية مع الحياة والزمن والذات حيث تحولت الذات إلى هيكل أجوف خال من الإرادة فالقوة ذاتية في الكذب "إن لم ينضه الكذب" والذات التي هي "الأنا" مستسلمة للضعف والمعاناة تتلقى الضربات باستسلام فانمطت القوة وضمحلّت العزيمة "واكذب السيف إن لم يصدق الغضب" فالهوية العامة للجماعة العربية مفتقرة للزيادة ومفتقرة القوة للعزيمة فلا هوية يزيف بوصفها خاصية ثابتة ومستمرة ليس بوجود "الكذب" والإرادة والعزيمة القوية فانفتحت الفحل القوي وردة الفحل الأقوى فاستسلمت لأعمال القوى المستغلة فيها.

سافرت في سنة "الرامي" هربت على عمى غداة قبرنا "ناجي الأسدي" من بعد عامين من أخبار قتل أبي خلق "الحمية" في جيش بلا عدد أيام صاوحا: قوى "الإديسي" احتشدت وقابلوها بجيش غير محتشد "الدودحية" تهمني في مراتعنا أغاني العار والأشواق والحسد

وإذا كانت الحكاية في النص الشعري تحيل إلى علامات دلالية في التواصل للشخصيات الحكائية في النص "الإديسي" "الدودحية" "بيروي الخطاب" المعاناة "وتتمثل بالمرض" "أحمد الرامي" وهو الطاعون الذي يصيب المواشي كالإبقار وقد قال عنه البردوني عن الحكاية الشعبية

"له أربع أرجل يمشي عليها كالإنسان وله عشر أيارٍ أظافرها كالسكاكين ومحمره اللون فكان رمزاً للربيع والمعاناة والدموية ونهاية للخسوبة والخير وخاصة لدى المزارعين وهذه إشارة وعلامة للمعاناة المدمرة للخسوبة والخير وإبراز للأحداث التي تدمر الاستقرار وتظهر

التخلص للإنسان والأنا المتخلفة وهي دلالة على العلاقة للهوية بالموت والمعاناة أكثر من الحياة والأخضرار والخسوبة والقوة فكان "الإديسي" ترميز للباطش البعيد الذي يقهر القوة التاريخية مما يحيل للضعف للهوية ومثل "الدودحية" وهي رمز وعلامة للعشق والحب والجمال وهي دلالة ورمز للمعاناة النفسية الوجدانية في بلوغ الجمال والحب وتحقيق غاية النفس بالامتزاج بالجمال والحب الفاتن وهذا تشظ للهوية وجدانياً واجتماعياً والنص يبحث عن الذات وما هو مثال في هوية "خسبة" تتلاقح "بالجمال" وهوية قوية لها القدرة على الانتصار من الجولة الأولى بتحقيق انتصار الأنا الشامل فتحقق تلك الغايات ومن ثم تقول الأنا لكل ما حولها "أنت أنا لأن النص يحيي هوية أنا" هو "الأخر والمناقض" هربت ساعة قبرنا" ولذلك يقول وليد مشوح "اعتقد أن كثرة الأسماء والأعلام في شعر البردوني لها بعد نفسي يلح عليه، فهو يستحضر الصورة التراجعية الجاهزة لشخص أو مكان أو حدث ويقدمها مسكناً للألم البحث عن المثال والحاجة إلى الهوية والاستقرار في حضرة المتناسق العظيم".

وهو يبحث عن التعدد في إطار هوية واحدة

جمع الباحث العلمي البريطاني في دراسته بين علوم الحياة - البيولوجيا والرياضيات والفيزياء. وجعل في مقدمة اهتماماته البحث في مجال «علوم الحياة الفلكية»، بمعنى أشكال الحياة التي يمكن أن تكون موجودة على الكواكب الأخرى غير كوكبنا الأرضي. وهو يكرس كتابه الذي يحمل عنوان: «المعرفة» الذي يبحث فيه كيف نعيد بناء عالمان من الصفر، كما يقول عنوانه الفرعي، لمسألة كيفية النهوض بالحضارة الإنسانية في حالة وقوع كارثة كبرى.

وعن «المعرفة» التي اختارها عنواناً لكتابه يكتب أنها: «فهم الطريقة التي بنى فيها عالمان وفهم المبادئ والمسارات التي أُنشئت عليها حياتنا اليومية، وليس في نيتي بالتأكيد دفع الآخرين إلى الإحساس بالذنب، لأنهم لا يعرفون قدرنا كبيراً من العلم، لكنني أعتقد أنني أعطي الأشياء قيمة أكبر، عندما أتعرف إلى الكيفية التي تعمل على أساسها، وأريد أن أتقاسم مع الآخرين سحر ذلك.»

تجديد تكنولوجيا
ويطرح المؤلف في البداية عدداً من الأسئلة مثل: ماذا سيحدث إذا انتهت فجأةً هذا العالم كما نعرفه فجأةً؟ وماذا لو غدت عشرات الأفلام التي قدمتها السينما عن نهاية العالم حقيقةً ماثلة أمامنا وليس مجرد توهيمات على شاشة؟ وماذا لو احتج هذا العالم وباء قاتل؟ وبناء على ذلك من فرضيات، «عبيثة» في السياق الحالي، ما

المرجع نفس، ص 105 ذ
- البردوني، الأعمال الكاملة، ص 650
- جون جوزيف عالم المعرفة اللغة والهوية، العدد 342، ص 156.

- جون جوزيف، المرجع السابق، ص 157.
- عالم الفكر إشكالية الأنا والآخر، عدد 398، ص 21.
- البردوني، الأعمال الكاملة، ص 1، ص 376.
- وليد مشوح، الصورة الشعرية عند البردوني، كتاب الرياض العدد 84، ص 246.
- العرقية والقومية، عدد 393، ص 154.
- البردوني، الأعمال الكاملة، ص 1، ص 670
- عائشة الترمكي سيميائيات النص الشفاهي، ص 106

- المرجع السابق، النص الشفاهي، ص 43
- د. يوسف ناوري، مجلة الرافد، ص 179
- البردوني، الأعمال الكاملة، ص 1، ص 670
- وليد مشوح الصورة عند البردوني، ص 286
- البردوني، الأعمال الكاملة، ص 1، ص 672
- المقال، قراءات في الأدب والفن، ص 91

- د. محمد عمارة، الهوية الحضارية ومفهوم العروبة، مجلة الفكر، ص 15
- البردوني، الأعمال الكاملة، ص 632
- عالم الفكر الهوية والجسد، ص 113.
- د. أحمد حيزم، من الهوية إلى الجماعية إلى الهوية الفردية، مقاربات في اللغة والأدب، ص 59
- عبد الواحد المهتاني بين التراث والعصرنة، مجلة تراث، ع 163، ص 30.
- البردوني، الأعمال الكاملة، إصدارات وزارة الثقافة، ص 1، ص 621.

- عبد الكريم الخطيب، نحو فكر مغاير، ص 35
- الأعمال الكاملة المجلد الأول، ص 662.
- د. أحمد هيضم، من الهوية الجماعية إلى الهوية الفردية مقاربات في الأدب والفن، عدد 72، ص 74.
- البردوني، الأعمال الكاملة، ص 632.
- د. أحمد حيزم مقاربات في الأدب والنقد، ص 74
- د. ماجد حمود، إشكالية الأنا والآخر عالم المعرفة عدد 398، ص 16.
- البردوني، الأعمال الكاملة، ص 638
- عبد الكريم الخطيب نحو فكر مغاير، ص 105

ومحاولة خلق الأنا الندية التي تمتلك قراراتها. - حاول الخطاب أن يستدعي التحول والتجدد ويحارب التحول والثبات للضعف والانتهزام.

قائمة المراجع
- د. محمد عمارة، مجلة الرافد ومفهوم العروبة، العدد 100، ص 426.
- البردوني الأعمال الكاملة ص 1، ص 253، ص 254.
- محمد عمارة، مجلة الرافد، المرجع السابق.
- البردوني الأعمال الكاملة، ص 670
- د. ماجدة حمود، إشكالية الأنا والآخر، ص 398، عالم الفكر، ص 15

- البردوني، الأعمال الكاملة، ص 632
- عالم الفكر الهوية والجسد، ص 113.
- د. أحمد حيزم، من الهوية إلى الجماعية إلى الهوية الفردية، مقاربات في اللغة والأدب، ص 59
- عبد الواحد المهتاني بين التراث والعصرنة، مجلة تراث، ع 163، ص 30.
- البردوني، الأعمال الكاملة، إصدارات وزارة الثقافة، ص 1، ص 621.

- عبد الكريم الخطيب، نحو فكر مغاير، ص 35
- الأعمال الكاملة المجلد الأول، ص 662.
- د. أحمد هيضم، من الهوية الجماعية إلى الهوية الفردية مقاربات في الأدب والفن، عدد 72، ص 74.
- البردوني، الأعمال الكاملة، ص 632.
- د. أحمد حيزم مقاربات في الأدب والنقد، ص 74
- د. ماجد حمود، إشكالية الأنا والآخر عالم المعرفة عدد 398، ص 16.
- البردوني، الأعمال الكاملة، ص 638
- عبد الكريم الخطيب نحو فكر مغاير، ص 105

في الفاعلية الرومانية بهوية قوية. - رفض الانتهزام والاستسلام للآخر حتى يتحقق الحضور الفاعل.

- مجازة الآخر كان ملحماً للضعف والوهن في الهوية.
- كان التبرم من ضعف الهوية ليس نكراناً للتحويلات الحضارية الكونية ولكنه دعوة للتماهي مع الآخر مواكبة للحضارة الجديدة.
- الهوية الممزقة ضياع لأطرافها فتضمحل القيم التي تجذر مكوناتها.

- بفعل الضعف تحولت الأنا الهوية إلى آخر خائن ومستسلم وهو ما يرفضه النص الشعري.
- كان النص من خلال الصراع يدعو لاستشراف المستقبل باعتبار البحث عن "الأنا" الجماعية دعوة عصرية فاعلة.
- خطاب المناقضات في النص تعبير عن أزمة العصر وأزمة القيم ودعوة لإعادة صياغة الهوية بمنهج عصري.

- كانت الأنا المتشظية أنوات دلالة على الغتراب والتناقض بين الشكل والهوية والمضمون والانتماء.
- حاول خطاب استعادة الروح باعتبار الجسد موجود ميت ورغبة في استعادة روح الذات بغاغبة وحبوبية.
- امتزجت الهوية المحلية اليمينية بالعربية بوصفها جوهراً ثابتاً ومستمرًا وصامداً عبر الزمن، ووصفها جزءاً من الهوية العربية.
- الدعوة للتجدد وأمل الأنا بالمستقبل تدل على التسامح والعيش المتكافئ مع الآخر،



أنه زاخر بالمعلومات التي تفاجئ القارئ وتثير دهشته. لكنها معلومات ذات فوائد كبرى وأساسية للتصرف في فترة ما بعد وقوع حوادث كبرى قد تتجاوز بأضعاف ما عرفته البشرية في تاريخها كله حتى الوقت الراهن.

عناصر واهتمامات
وال«معرفة» التي عنها مؤلف هذا الكتاب في عنوانه ليست إذاً تلك التي تبحث في أصول العلم ونظريات الفلسفة والأخلاق، لكن بالأحرى هي المعرفة التي تلم بالعناصر الأساسية، والتي لا بد منها من أجل توفير ما يؤمن قدرة النهوض من جديد، «من الصفر»، لترميم منظومة القدرة على الاستمرار. ويقدم المؤلف توصيفاً لمسار العلوم والتكنولوجيا، وما توصلت إليه من الحلول للمشكلات المطروحة على العالم.

لكنه يركز بشكل خاص على تلك المشكلات التي لا تعد ولا تحصى، والتي لا تزال تشكل إشارات استفهام كبيرة بالنسبة إلى مستقبل العلم ومستقبل العالم. والمشكلة الكبرى هي أن البشر يجهلون ما يمكن أن يحل بعالمنا من كوارث قد تهدد جميع المكتسبات التي جنوها حتى اليوم.

المؤلف في سطور
لويس دارتنيل باحث علمي بريطاني في مجالات البيولوجيا الفلكية. أعض قسماً كبيراً من طفولته متنقلاً بين عدة بلدان، إذ كان والده يعمل مهندساً في شركة الطيران البريطانية، حصل على شهادة علمية

القائم كما تعرفه لكوارث كبرى مدمرة.

إقلاع حضاري
ما يؤكد المؤلف في تحليلاته هو أن الإقلاع الحضاري من جديد سوف يكون أكثر صعوبة وأكثر تعقيداً مما قد يبدو للوهلة الأولى، ذلك أنه حتى أولئك الذين يمتلكون معارف علمية في مجالات اختصاصهم، فإنهم لن يكونوا قادرين على إنتاج مواد أساسية بسيطة ضرورية للحياة اليومية.

ويمثل هذا الكتاب في أحد جوانبه نوعاً من الدليل «العملي» لتصنيع مواد ذات ضرورة ملحة كـ«الصابون» مثلاً. فكم من البشر يعرفون كيفية صنعه ولو كانوا قد يعرفون المواد الأولية التي تحتاج إليها صناعته؟ يسأل المؤلف مؤكداً أهمية ذلك في فترة إعادة ترميم حضاري «تفتقر إلى الكهرباء، وبالطبع إلى شبكات الإنترنت».

وعلى صعيد المعارف الضرورية، ندرك أن مادة «الأسمنت» التي قليلاً ما تثار التساؤلات حولها مهمة، إذ يشير المؤلف إلى أن اختراع ما يُعرف بـ«الأسمنت المائي الهيدروليكي» الذي يستطيع المقاومة داخل البحار سمح باختراع الغواصات التي تجوب أعماق البحار. كما أن «الأسمنت المائي» جعل الرومان قادرين على السيطرة على البحر الأبيض المتوسط.

لقد كانوا قادرين على صناعة تلال من «الأسمنت»، هذا الأسمنت المصنوع من تربة كلسية معينة يشكل العصب الرئيسي الذي ما كان للحضارة الراهنة أن تقوم بدونه. أحد الجوانب الأساسية في هذا الكتاب هو

في مجال علوم الحياة البيولوجيا، من تحرير مجلة «البيولوجيا الفلكية»، والرياضيات من جامعة لندن، ويتراس

جامعة أكسفورد، ثم نال الدكتوراه بالفيزياء